الفصل الثالث

حكاية الزعامة المزعومة

www.anwarsadat.org

سياسة مصر وسياسة نورى

مهما بلغت قوتك ، وأنت تعتمد على غيرك ، فأنت ضعيف . . . وأيا كانت قوتك ، وأنت تعتمد على نفسك فأنت قوى . . . أننا نحن العرب أقوياء بقوميتنا وموقعنا ومصادرنا " جمال عبد الناصر " كانت الدعاية التى يروجها نورى السعيد ومن خلفه بريطانيا ، لحلفه فى البلاد العربية قبل عقد صفقة الأسلحة المصرية تعتمد على أمرين أثنين :

الأول : هو أن ساسة مصر شبان قليلو الخبرة (وكان المصدر الاساسى لهذا الترويج ولا يزال هو صحف إنجلترا وعلى رأسها التيمس) وأن الرئيس جمال عبد الناصر رجل لا يزال يفكر بعقلية الضابط : يمين يمين شمال شمال .

الثانى : أن حصول العراق على الأسلحة كسب ضخم جداً ، ونصر للقضية العربية ضد إسرائيل ، وأنه مهما كان ثمن الأسلحة من حلف أو خلافه فأن هذا لا يقاس على الإطلاق بالحصول على الأسلحة من أجل الخطر الإسرائيلى .

وكانت هذه الدعاية تجد لها عونا من ساسة البلاد العربية وخاصة أن فيها كلمة إسرائيل وأسلحة ضد إسرائيل ، لذلك لم يكن يجد هؤلاء الساسة غضاضة فى أن يصارحوا الناس برأيهم هذا .

وبينما الدعاية للحلف تسير على هذه الخطوط ، وعلى أن فى مصر ديكتاتورية عسكرية ، وعلى أن مصر لن تحصل على قطعة واحدة من السلاح لموقفها الذى تقفه من الحلف ، بينما تعقد التيمس مقارنة بين جيوش الدول العربية . وتنتهى إلى أن جيش العراق سيصبح بفضل الفنيين البريطانيين والأسلحة البريطانية التى حصل عليها ، الجيش الأول فى البلاد العربية ، وبينما تعمدت التيمس فى هذه المقارنة أن تحط من قدر جيش مصر .

وبينما كان كل هذا يحدث وبينما كانت إنجلترا ونورى مطمئنين كل الاطمئنان إلى حلفهما وإلى سير الدعاية له .

انفجرت قنبلة صفقة الأسلحة المصرية التشيكية .

وكان دوى الانفجار عاليا مروعا بحيث لمس شغاف قلوب الشعوب العربيـــة جميعـــا ، فهبت ثلاثة برلمانات تؤيد الرئيس جمال فى سورية ولبنان وفى الأردن .

وانكشفت الدعاية التى تروجها إنجلترا ونورى .

فأما جمال عبد الناصر قليل الخبرة فى السياسة فهذا ما أثبتت الحوادث عكسه بشـــكل مفزع أبسط مظاهره أن أمريكا وإنجلترا ظلتا شهورا طويلة فى هذيان مروع علـــى لســـان ساستها وصحافتها .

وأما أن نورى قد نجح بحلفه فى أن يحصل على السلاح الـــلازم للوقـــف فـــى وجـــه إسرائيل فقد اتضح أن كميات الأسلحة التى حصل عليها لم تتعد عربات إســـعاف وأســـلحة مضادة للدبابات والطائرات ووعدا بعشر دبابات !

بينما حصلت مصر بموجب اتفاق تجارى بحت لا قيود فيه ولا التزامات على أسلحة لم تصب إسرائيل وحدها بالذعر بل أصابت أيضا أمريكا وإنجلترا .

وأكثر منذ لك حصل تحول غريب فى منطق إسرائيل .

فبعد أن كان بن جوريون يقيم حملته الانتخابية فى الصيف الماضى على الجملة الخالدة "

" سنفرض الصلح على العرب بالقوة "

تراه فى ديسمبر الماضى يعلن إفلاس إسرائيل وعدم تسديدها ديونها لأنه يتوقع تصفية الموقف فى الصيف .

لم يبق لدعاية إنجلترا ونورى إلا شئ واحد .

لقد انطلقوا يذيعون أن الخلاف بين سياسة مصر وسياسة نورى هو خـــلاف شخصـــى مرده إلى الزعامة .

أى أن جمال يريد أن يحقق لنفسه الزعامة على العرب ولذلك فهو مختلف مع سياســـة نورى السعيد .

ومن هنا بدأ الفصل البطولى الجديد الذى دفعت إنجلترا بأبطاله إلى الميـــدان ليتولـــوا التوفيق وجمع الكلمة وتوحيد الصف .

وأندفعت إنجلترا فى نفس الوقت تولول فى التيمس على الوحدة العربية وجمع الكلمـــة وأن حلف بغداد لا يمنع من الوحدة العربية لولا الرئيس جمال عبد الناصر الذى يريـــد أن يكون زعيما للعرب !

فما هى سياسة مصر وما هى سياسة نورى السعيد ؟

حين وضعت مصر سياستها كان جمال عبد الناصر ينفعل بعدة عوامل .

الأول : أن الشعب المصرى رفض الأحلاف منذ 1951 بطريقة قاطعة .

الثانى : أن الدفاع عن العرب يجب أن ينبثق مـــن المنطقـــة معتمـــدا علـــى الضـــمان الجماعى العربى بدون إشراك دولة أجنبية عن المنطقة .

الثالث : التعاون مع الغرب على أساس إتاحة القوة للعرب وحل القضايا العربية حلولا عادلة .

الرابع : آن مأساة فلسطين القريبة والدرس الذى تلقيناه بالدم علـــى أيـــدى إنجلتـــرا وأمريكا اللتين صنعتا إسرائيل لابد وأن يكون لهما تقدير عميق ، خاصة وأن إسرائيل لابد وأن يكون لهما تقدير عميق ، خاصة وأن إسرائيل خطر يهدد الأمة العربيـــة كافـــة ، وإن إنجلترا وأمريكا ظلتا دائما من خلفها حتى فى العدوان .

الخامس : أنك مهما بلغت قوتك وأنت تعتمد على غيرك فأنت ضعيف ، وأيا كانت قوتك وأنت تعتمد على نفسك فأنت قوى وأننا نحن العرب أقوياء بقوميتنا وموقعنا ومصادرنا .

ومعلى هذه الاعتبارات والأسس قامت سياسة مصر صريحة واضحة بسيطة .

فحين عرض الغرب على مصر الأحلاف رفض الرئيس جمال لان معناها أن تعتمد على غيرنا ، وقد جربنا خلال سبعين سنة معنى هذا الاعتماد .

وأمر آخر أشد خطورة ، وعجبا . . . أننا بدخولنا حلفا مع إنجلتـــرا وأمريكـــا ســـنكل أمرنا إذا ما اعتدت إسرائيل إلى صانعى إسرائيل !

فأى منطق أو عقل أو سياسة أو كرامة فى هذا ؟ وهكذا قامت سياسة مصر على المبادئ الآتية :

1 ــ أن مصر جزء من الكيان العربى الذى لا يتجزأ

2 ــ لا سيطرة ولا استعمار ولا أى قيد من أية ناحية

3 ــ الذى يدافع عن العرب هم العرب أنفسهم ، ويجب أن تنبعث القوة للدفاع عن هذه المنطقة من داخلها ، لا من خارجها أو اعتمادا على دولة كبرى فى حلف أو ميثاق .

4 ــ احترام لمن يحترم استقلالنا ومشيئتنا .

5 ــ يد ممدودة بالصداقة للعالم أجمع على قدم المساواة وتستطيع أن تجمل كل هذا فى كلمتين . . . استقلال تام .

أو فى معنى آخر بسيط هو سيادة الشعب سيادة كاملة على أرضه ورزقه ومصيره .

فما هى سياسة نورى السعيد ؟

وأود هنا أن أعيد ما قلته من أن سياسة نورى السعيد ليست سياسة شعب العراق ، فالشعب العراقى يعرف تماما ما يريد ، وما يريده هو ما يريده شعب مصر وما يريده كل شعب عربى .

لقد قلت أن نورى السعيد جرئ لأنه يجاهر برأيه ، وها هو رأيه كما يعرفه كل عربى :

أن نظرية نورى هى أن البند 15 من ميثاق الأمم المتحدة (وهو الخاص بالاتفاقات الإقليمية) يتيح لنا من خلالها أن نصنع تنظيما للدول العربية ، ونربطه بحلف البلقان من أجل الدفاع ومن رأى نورى أن العرب لا يستطيعون أن يقفوا وحدهم كما يرى فى الوقت ذاته أننا لا نستطيع أن نستغنى عن الغرب ، وأننا إذا استطعنا أن نكسب الغرب إلى جانبنا ضد إسرائيل فأن هذا يكون هو الحلم الذى يراودنا .

ونحن ، فى رأى نورى السعيد ، لا نستطيع أن نكسب الغرب إلى جانبنا بالكلام ، بل نستطيع ذلك بالعمل .

وكانت نظرية " نورى " أن فى استطاعتنا نحن العرب أن نتمم العملية على خطــوتين : الخطوة الأولى هى أن نمضى مع الغرب ونأخذ أسلحة دفاعية مضادة للطــائرات ومضــادة للدبابات ، وبعد ذلك تأتى الخطوة الثانية ، وهى أن نطلب من الغرب السلاح الثقيل .

ويرى نورى السعيد أننا إذا أخذنا الغرب فى صفنا ، فأن إسرائيل سترتمى مــن خــلال هذا فى أحضان الشيوعية ، والنتيجة التى يراها تبعا لــذلك هــى أن إســرائيل ستصــبح شيوعية ، وعندئذ يكفينا الغرب مؤونة القضاء عليها !

www.anwarsadat.org

هل هو خلاف شخصى ؟

لقد استعرضت لك أيها الأخ العربى سياسة مصر وأوردت لك سياسة نورى السعيد ، وهى السياسة التى لا يخفيها أو ينكرها نورى السعيد بل أنه كما قلت شجاع لأنه يجاهر بها برغم أن شعب العراق لا يؤمن بها .

وهنا يحق لى ولك أيها الأخ العربى أن نتساءل :

ما هى حكاية الوساطة بين مصر والعراق وكيف تكون هذه الوساطة ، أى إلى أى هدف يجب أن تهدف ، وهل استعمال الكلمات البراقة كالوحدة العربية وجمع الكلمة وتوحيد الصفوف حقيقة أريد بها وجه الله أم حقيقة أريد بها باطل ؟

حين ذهبت إلى لبنان فى شهر ديسمبر 1955 سمعت البعض يردد أن الخلاف بين مصر والعراق خلاف شخصى على الزعامة وحين أتى على العرب حين من الدهر هبوا ليستنكروا فيه الحلف العراقى التركى البريطانى على أساس أنه طعنة قاتلة للقومية العربية لان صانعيه هم صانعو إسرائيل ، لم تجد إنجلترا وأمريكا وتابعهم نورى السعيد خيرا من أن يلقوا بين صفوف شعوب العرب وحكامهم بحكاية الزعامة هذه ولكن معارضة مصر فى نظرهم لم تكن إلا للزعامة لا للقضية التى تخان ، ولا الوحدة التى تمزق ، ولا للأسلوب الذى يراد به قيام إسرائيل ووجودها وجودا شرعيا ، فالخطة كانت أن يدخل العرب مع إنجلترا وأمريكا هذا الحلف ، ثم تدخل إنجلترا وأمريكا من الناحية الأخرى فى اتفاق مع إسرائيل تحت ستار الدفاع عن المنطقة ، وإسرائيل طبعا عضو فى هذه المنطقة ! وحين أراد الإنجليز فى صحفهم أن يعلقوا لم يجدوا خيرا من هذا التعليق يثيرون به النفوس ويبذرون به بذور الفتنة فقالوا أن مصر تريد الزعامة وأن جمال عبد الناصر يصر على ان يكون الزعيم الأوحد .

ونحن هنا فى مصر نعتبر هذه الدعاية تسفيهاً للعقول ، لسبب بسيط جدا هو ما عانى منه هذا البلد ويعانى منه كثير من شعوب العرب اليوم بسبب التناحر الذى يقوم بين الرجالات فى البلد الواحد لأسباب شخصية بحتة لا تمت إلى الصالح العام بسبب .

ومن جهة أخرى فأننى أريد أن أناقش موضوعيا هذه الزعامة إذا صح أن وجدت فأنه يقال مثلا أن أمريكا وإنجلترا تتنافسان على الزعامة فى الشرق الأوسط أو فى منطقة كذا من العالم فماذا يعنى التنافس على الزعامة ؟

أن الرجل العادى يستطيع أن يدرك فى غير صعوبة ولا تعقيد أن التنافس على الزعامة يكون مرده دائماً إلى المصالح ، بمعنى أنه إذا قيل أن أمريكا وبريطانيا تتنافسان على الزعامة فى الشرق الأوسط وهو صحيح إلى حد ما ، فأن ذلك يعنى أن لكل من أمريكا وبريطانيا مصالح تريد أن تحافظ عليها عن طريق فرض زعامتها وبالتالى كلمتها حتى تستطيع أن تأمن على مصالحها فى هذه المنطقة وحتى تستطيع أن تحقق أكبر كسب ممكن لصالحها فى هذه المنطقة .

والمحافظة على هذه المصالح تحتم على الدولة الزعيمة أن توجد لها فى كل بلد من بلاد هذه المنطقة حكاماً ورجالا من أهل البلد نفسه يتولون رعاية مصالح هذه الدولة الزعيمة لهم سواء فى شكل ثروة يقيدها ، أو سلطان يحققه عن طريق البقاء فى الحكم بمساندة هذه الدولة ، وفى الماضى كانت تلجأ إنجلترا مثلا لفرض زعامتها ورعاية مصالحها إلى إبقاء جيش احتلال بريطانى فى البلد الذى تريد أن تستعمره ثم تطورت الفكرة إلى عقد معاهدة تجعل بها الاستعمار شرعيا على أيدى زعماء من هذا البلد مع إبقاء قوات احتلالها ، ثم تطورت الفكرة مرة أخرى إلى آخر ثوب يناسب القرن العشرين وهو أن تسحب قواتها بعد أن أصبحت تكاليفها غالية وتستعيض عنها بما يعوض وجود هذه القوات وقيام المعاهدة وهو الحلف .

أليست هذه هى الحقيقة المرة بنا جميعا أيها الأخ العربى فى كل قطر من أقطارنا ؟ وأليس هذا هو زى الاستعمار الذى غيره كلما صدمه الوعى ؟

أننى أنتزع هذا التفسير من صميم تاريخنا وحياتنا ، فأذا أشاع الإنجليز والأمريكان والسيد نورى السعيد عميلهم ومساعدوه اليوم أن جمال عبد الناصر يريد أن يكون الزعيم الأوحد للعرب وأنه لذلك يعارض سياسة إنجلترا وأمريكا فى الوطن العربى فأن هدف هذه الإشاعة يكون واضحا ومفهوما كالشمس ، فإنجلترا لا تريد أن يقوم من بين العرب رجل

يبصرهم بماضيهم وحاضرهم ولا أن يذكرهم بمأساة فلسطين ، ولا أن يصارح الشعوب العربية بحقيقة ما هى فيه ، ولا أن تبلغ به الجرأة فلا يستمع لأوامرهم أو يخضع لمشورتهم ، لأن معنى هذا كله أن زعامتهم ستتلاشى أو بمعنى آخر أن مصالحهم التى يرغمون الشعوب على تحقيقها لهم ستصبح مهددة لأن الوعى العربى القومى الشعبى سيجرفها شاء الحكام أم لم يشاءوا .

ورب سائل يسأل : وما هى هذه المصالح التى لبريطانيا ؟

فأقول :

1 ــ الزيت فى العراق وفى الخليج الفارسى وفى البوريمى وفى المحميات ، ودخل الحكومة البريطانية من هذا الزيت الذى يخرج من الخليج الفارسى وحده يشكل رقماً يقدر بحوالى الستمائة مليون دولار ، هذا بخلاف تأثر دخل الحكومة البريطانية من زيت عبدان إذا ما فقدت سيطرتها وزعامتها فى المنطقة العربية وهذا أمر يطول شرحه .

2 ــ الأمة العربية والشرق الأوسط سوق تجارية لمنتجات بريطانيا الصناعية وبريطانيا تقوم حياتها على الصناعة ، وليس فى هذه المنطقة صناعة على الإطلاق ومن مصلحة بريطانيا أن لا تقوم فيها صناعة إلى يوم القيامة ــ وفى الكتب المدرسية التى صنعها الإنجليز لنا كانوا يعلموننا أن مصر بلد زراعى وأنها لن تصلح لأن تكون بلدا صناعية لعدم وجود الفحم والحديد اللذين يوجدان فى بريطانيا وحدها .

3 ــ تحتل الأمة العربية رقعة ذات موقع استراتيجى خطير من العالم .

ويكفى لكى تدرك ذلك أن تعلم أن إنجلترا انتصرت فى حربيين عالميتين جبارتين بميادين التدريب الفسيحة فى مصر وقواعدها فى الشرق الأوسط التى كانت تمد جميع ميادين القتال بالجند المدربين والسلاح والعتاد والمؤن لأنها فى مركز متوسط فى العالم كله .

4 ــ يكمن فى باطن أرض العرب ثلثا البترول فى العالم أو أكثر ، والبترول علاوة على دخل الحكومة البريطانية منه يشكل العصب الحاسم لصناعتها وللحرب وللسلم على السواء .

هذه بعض مصالح بريطانيا التى تدعوها إلى الاحتفاظ بالزعامة والتى تدعو أمريكا إلى منافستها على الزعامة .

فما هى المصالح التى يريد جمال عبد الناصر أن يحققها بفرض زعامته الوحيدة علـــى هذه المنطقة كما تقول إنجلترا وأمريكا وعميلهم نورى السعيد ؟

www.anwarsadat.org

ماذا يريد جمال ؟

كلنا فى الهم شرق . . . وهمنا فى الشرق

كان ولا يزال فى داء الزعامة ، وفى محنة

الأحقاد . . . وجمال أبدا لن يداوى الداء

بالداء . . . وأنما شرعه الحسم بشافى الدواء

ما هى المصالح التى يريد جمال عبد الناصر أن يحققها بفرض زعامته الوحيدة على هذه المنطقة كما تقول إنجلترا وأمريكا ونورى السعيد وأذياله ؟

هل طفح الإنتاج الصناعى فى مصر لدرجة أن أصبح ينافس إنتاج بريطانيا وأمريكا . ولذلك يريد جمال أن يطردهم جميعا ليحقق مصالح فى هذه الناحية ؟

وهل يريد جمال عبد الناصر أن يعد قواعد فى البلاد العربية لكى يثب منها على أوربا ؟

أم هل يريد جمال عبد الناصر أن يكمل ميزانيته من بترول الخليج الفارسى وبترول العراق ؟

وهل يريد جمال عبد الناصر أن تحتل جيوشه هذه البلاد العربية ليفرض زعامته الوحيدة لأن له أطماعا إقليمية فى هذه البلاد ؟

أم هل يريد جمال عبد الناصر أن يؤمن نفسه ضد الحرب الباردة وضد الكتلة الشرقية ولذلك يلجأ إلى فرض الأحلاف عن طريق الزعامة ؟

ما هى المصلحة التى يسعى إليها جمال عبد الناصر عن طريق فرض الزعامة الوحيدة المزعومة ؟

أن الأمر لا يعدو أن يكون تخريفاً وهراء تريد إنجلترا وأمريكا بهما بلبلة الأفكار خصوصا وأن فى الأمة العربية إلى اليوم من لا يزالون يؤمنون بالزعامات والأطماع الشخصية ويؤمنون فوق كل شئ وقبل كل شئ بالولاء الأعمى للغرب والإخلاص لبريطانيا

www.anwarsadat.org

وحليفتها أمريكا حتى ولو كان هذا الولاء ضد أمانى الأمة العربية وحتى لو كان هذا الولاء لصانعى إسرائيل .

بعد كل هذا سأقول لإنجلترا وأمريكا وأبطال الفصل الجديد فى قصة الوحدة العربية الذين أكتب من أجلهم هذه السطور سأقول لهم جميعا :

ــ إذا كانت زعامة جمال عبد الناصر تعنى أن يستقل العرب عن كل سيطرة أو قيد أجنبى فأن رجل الشارع العربى يرحب بها كما سمعتم بآذانكم ورأيتم بعيونكم .

وإذا كانت زعامة جمال عبد الناصر تعنى أن يسيطر العرب فى وطنهم على أرضهم وسمائهم ومقدارتهم ويختاروا لأنفسهم بمحض مشيئتهم مصيرهم الذى يرغبون ، فأن رجل الشارع العربى يرحب بهذه الزعامة .

وإذا كانت زعامة جمال عبد الناصر تعنى أن مستقبلا كريما ينتظر هذه الأمة العربية عليها أن تسطره بمداد من الكرامة كما سطرت تاريخاً نظيفا مضيئا للعالم كله من قبل فإن رجل الشارع العربى يؤمن بزعامة جمال ويهتف من كل قلبه لجمال وأقول لكم جميعا يا إنجلترا ويا أمريكا ويا أعوان الاستعمار ــ وأنا أعرف جمالا كما أعرف نفسى ــ أن جمالا يريد هذا كله بل وأكثر منه .

ولكنه لم يفكر لحظة واحدة فى مسألة الزعامة .

أن جمالا صاحب دعوة ، وهو يؤمن أن مسألة الزعامة كانت من تقاليد عهد الانحلال يوم أن كان المستعمر يحطم فى رجالنا كل روح إنشائية بناءة بشغل نفوسهم بالزعامة والأحقاد والمجد الشخصى !

وما يعمله جمال اليوم هو أنه يدعو بما يحسه فى نفسه نتيجة لآلام الماضى ومآسيه ، لذلك تستجيب له الشعوب قبل الحكام ثم لا يلبث أن يستجيب الحكام لأن الإرادة هى أرادة الشعوب لا الحكام .

وأمر آخر يحسه جمال يا حضرات الزعماء والاقيال هو أننا كلنا فى الهم شرق .

وهمنا فى الشرق كان ولا يزال فى داء الزعامة وفى محنة الأحقاد .

وجمال أبدا لن يداوى الداء بالداء وأنما شرعه الحسم بشافى الدواء .

www.anwarsadat.org